بسم الله الرحمن الرحيم

البرهان المبين في بيان معنى الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم

حسن عبد الجليل عبد الرحيم علي العبادلة

مقدمة:

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ شريكا في الملك،ث ث ذ ث[1]، الحنّان المنّان ذو الجلال والإكرام، بديع الخلق، عظيم الرحمة والإحسان، الذي خلق كل شيء فقدّره تقديرا، وبدقة متناهية صوّره، ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ[2]، وخلق الجنة ژ ه ھ ھ ژ[3]، وأكرم نبيّه الرحيم بقوله الكريم: ژ ۇ ۆ ۆ و و ۉ ۉ ژ[4]، وقضى أن تكون أشواط الطواف سبعة، وأشواط السعي سبعة، وأن ينزل القرآن على أحرف سبعة. فله سبحانه الحكم والأمر ژ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ژ[5]، وله سبحانه الحمد كله فهو أهل الفضل كله. والصلاة والسلام على رسوله الأمين النبي السمح الكريم عين الرحمة المرسلة للعالمين: ژ ک ک گ گ گ ژ[6]، وعلى آله الطاهرين وصحابته المكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فإن موضوع الأحرف السبعة عظيم القدر كبير الأهمية لاتصاله الوثيق بالقرآن الكريم، فالقرآن المنزّل من الله تعالى منزّل بكل الأحرف السبعة، وإذا كان ذلك كذلك ظهرت أهمية هذا الموضوع الذي لا يخفى

1- سورة الإخلاص، الآية: 4.

2- سورة الطلاق، الآية: 12.

3- سورة الحجر، الآية: 44.

4- سورة الحجر، الآية: 87.

5- سورة الرعد، الآية: 41.

6- سورة الأنبياء، الآية: 107.

على أحد مقدار الاختلاف في تفسيره مما يفتح المجال لمن طمس الله على قلبه للطعن في كتاب الله العزيز.

والذي أخذ مني كل مأخذ ودفعني لكتابة هذا البحث هو تسجيل اطلعت عليه على موقع اليوتيوب عنونه صاحبه بـ: "محمد ومهزلة الأحرف السبعة" أنقله كاملا حتى تتضح أهمية موضوع البحث في الرد على هذه الافتراءات، حيث يقول صاحب الموضوع الذي لم يفصح عن اسمه:

"عندما نفحص الإسلام جيدا سنجده مليئًا بالإشارات واللامنطقيات، بل سنجد فيه الكثير من المهازل، إحدى هذه المهازل هي قضية الأحرف السبعة. محمد كان ينسى الآيات فكان كل مرة يقرأ الآية بصورة مختلفة، لكن عندما أحس بالورطة أتاهم بحيلة؛ نبدأ بهذا الحديث الذي ورد في **صحيح البخاري**، استمع لهذا الداعية وهو ينقل لنا ما قاله عمر ـ ويورد تسجيلا لداعية إسلامي يتحدث عن قصة عمر وهشام بن حكيم، وعند انتهاء كلام الداعية يقول ـ مما جعل الصحابة يرتابون من أمره، وهذا أبي بن كعب والشك يدب في قلبه، جاء في **صحيح مسلم**: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها ثم دخل آخر... لكن محمد قد تدارك الأمر فضرب أبي بن كعب على صدره وقال له ـ الحديث. لا يحتاج الإنسان إلى تفكير عميق لكي يعرف أن تلك الأحرف السبعة ما هي إلا خدعة للخروج من الورطة، إذ لا معنى لنزول جبرائيل سبع مرات بآيات متشابهة، كما أنه لم تتنزل آية ما أو سورة بسبعة طرق مختلفة، ولم يحدث ذلك ولا لمرة واحدة. وجميع كتب الحديث عندما تحدثت عن سبب نزول آية ما في حادثة ما، لم تذكر أن جبرائيل نزل سبع مرات، بآيات تختلف في اللفظ وتتشابه في المعنى، ونحن نتحدى كل مشايخ الإسلام أن يأتونا اليوم ولو برواية واحدة، تؤكد لنا أن آية ما قد نزلت بسبع طرق مختلفة، وإن طرقها السبعة كانت كذا وكذا . وأيضًا هناك أمر طريف آخر في روايات الأحرف السبعة، فمحمد يدخل في مفاوضات مع ربه حول عدد الأحرف، تماما كما فعل ذلك من قبل مع ربه حول عدد ركعات الصلاة، فيبدو أن الإله لا يعلم الغيب، ويبدو أن محمدا أعلم من ربه بمدى حاجة أتباعه للحروف. تساؤل آخر: يدعي محمد أن القرآن منقول له من اللوح المحفوظ فأيّ الأحرف تمثل ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ؟ أم أن كل الأحرف هي في اللوح المحفوظ؟ إذا كانت كذلك فكيف سمح الله بضياع تلك الأحرف؟ فكما يقول المسلمون فإن عثمان قد حرّق ست أحرف وأبقى على حرف واحد. أما لو لم تكن في اللوح المحفوظ فكيف كان يعتبرها قرآنا؟ أم أن قضية الأحرف السبعة هي من افتراءات شيوخ الإسلام؟ هل هم افتروها لكي يبرروا الاختلاف بين مصحف ابن مسعود وغيره، وبين المصحف الحالي؟ هل أرادوا أن يغطوا على التحريفات والاختلافات أم أنها كانت مجرد كذبة محمدية ابتكرها لهم لأجل الخروج من مأزق النسيان؟

ففي جميع الأحوال فهناك ضياع لما أنزل من اللوح المحفوظ، فلماذا لم يحفظ إله الإسلام أحرفه؟ ولماذا رب العزة يحتاج إلى لوح محفوظ؟ هل هو ينسى كما ينسى محمد؟ أم أنها من أساطير نبي الإسلام؟ ملاحظة: الأحرف السبعة هي غير القراءات العشر للمصحف العثماني. فمشكلة القراءات العشر قد نشأت لاحقا بسبب اختلافهم في قراءة المصحف العثماني، وذلك لعدم وجود التنقيط والتحريك فيه، فكيف سيعتبر هذا القرآن محفوظا، ونحن لا نعرف أي القراءات صحيحة؟ هل فقدان ستة أحرف مع وجود عشر قراءات مختلفة يؤكد أن ما نزل من اللوح المحفوظ قد بقي محفوظا؟ أم أن أقدم ما عثرنا عليه من المصاحف قد أثبت عدم التحريف؟ أم أن القصة هي كلها أكاذيب في أكاذيب؟"[7]. والعياذ بالله من الهفوات التي اضطررنا إلى نقلها هنا لنؤكد خطورة الأمر.

أما الدراسات السابقة فأغلبها يقوم على ترجيح أحد معاني الأحرف السبعة التي ذكرها العلماء السابقون، ويلمح في بعض الدراسات الحديثة ترجيح بعض الأقوال القديمة التي كان أكثر الباحثين يرددونها دون فهمها على حقيقتها، نحو تفسير الفراهيدي والأزهري وغيرهما الأحرف السبعة بالقراءات. وأما عملي في هذا البحث فسأقوم بإذن الله تعالى بتتبع الأحاديث النبوية وأقوال عدد من العلماء السابقين وتحليلها لبيان معنى الأحرف السبعة وبيان كيفية إثباتها في المصاحف ومصيرها، وصلة القراءات القرآنية بها، موضحا ذلك بالأمثلة العملية، باذلا الجهد في إيصاد الباب أمام كثير من الشبهات التي تدور حول هذا الموضوع. متبعا في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي. سائلا الله العلي القدير العون والتيسير، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

وفي سبيل تحقيق الهدف المنشود قسّمت البحث على النحو الآتي:

المقدمة:

المبحث الأول: نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

المطلب الأول: أدلة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

المسألة الأولى: آيات القرآن الكريم.

المسألة الثانية: الأحاديث النبوية.

المسألة الثالثة: إجماع الصحابة على فعل عثمان.

المطلب الثاني: مصدر الأحرف السبعة.

7- http://www.youtube.com/watch?v=VPtYhEMlhHI

المطلب الثالث: الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

المبحث الثاني: بعض المعاني المذكورة في الأحرف السبعة وبيان بطلانها.

المطلب الأول: أنه من المشكل الذي لا يعرف معناه.

المطلب الثاني: التوسعة وإرادة التكثير.

المطلب الثالث: القراءة بالمعنى.

المطلب الرابع: سبع لغات (لهجات) متفرقة في القرآن.

المبحث الثالث: تفسيري للأحرف السبعة.

المطلب الأول: بيان معنى الأحرف السبعة.

المطلب الثاني: قراءة الصحابة للأحرف السبعة ونقلها.

المطلب الثالث: مصير الأحرف السبعة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصَّل إليها الباحث.

المبحث الأول: نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف:

المطلب الأول: أدلة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف:

تقسم الأدلة الواردة في الأحرف السبعة إلى ثلاثة أقسام: الأول: آيات القرآن الكريم، والثاني: الأحاديث النبوية الشريفة، والثالث: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

المسألة الأولى: آيات القرآن الكريم:

نشهد التنوع في أوجه أداء عدد من كلمات القرآن الكريم ورسمها فيما نقل إلينا بالتواتر من القراءات العشر، فعلى سبيل المثال لا الحصر في قوله تعالى: ژٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ[8]. تنوعت أوجه الأداء في قراءة "يضاعف ويخلد" على النحو الآتي: يقول ابن الجزري:

وعم ضم يقتروا والكسر ضم كوف ويخلد ويضاعف ما جزم[9]

قرأ ابن كثير[10] ژيُضَعَّفْ ژ بالتشديد والجزم. وقرأ ابن عامر[11] ژيُضَعَّفُ ژ بالتشديد

8- سورة الفرقان، الآية: 68-69.

9- محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، **متن طيبة النشر في القراءات العشر**، تحقيق: محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط1، 1414هـ/ 1994م، رقم البيت: 822، ص 89.

والرفع، ژوَيَخْلُدُژ بالرفع أيضًا. وقرأ أبو بكر[12] ژيُضَاعَفُژ بالرفع والألف ژوَيَخْلُدُژ بالرفع. وقرأ الباقون ژيُضَاعَفْژ بالألف ژوَيَخْلُدْژ وبالجزم فيهما[13].

وفي قوله تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

□ژ[14] تنوعت أوجه الأداء في قراءة "يضاعف والعذاب" على النحو الآتي: يقول ابن الجزري:

ثقل يضاعف كم ثنا حق ويا والعين فافتح بعد رفع احفظ حيا[15]

10- عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز، الإمام العلم مقرئ مكة وأحد القراء السبعة، أبو معبد الكناني الداري المكي، مولى عمرو ابن علقمة الكناني، وثّقه النسائي وعاش خمسا وسبعين سنة، ولد بمكة سنة 48 ومات سنة عشرين ومائة. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، ج 2، ص 41. وينظر: محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، 1413هـ، ج 5، ص318-319.

11- عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمران. قال ابن عامر: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي سنتان، ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني، توفي ابن عامر سنة ثماني عشرة ومائة. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1404هـ، ص 82 -86.

12- أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي، الإمام أحد الأعلام، مولى واصل الأحدب وكان حناطا، اختلف في اسمه على عشرة أقوال أصحها قولان: كنيته وما رواه أبو هشام الرفاعي وحسين بن عبد الأول أنهما سألاه عن اسمه فقال: شعبة ... قال هارون بن حاتم: سمعته يقول ولدت سنة خمس وتسعين. قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم وروى عن إسماعيل السدي وأبي حصين...وعرض القرآن أيضا على عطاء بن السائب وأسلم المنقري، وعمر دهرا وكان سيدا إماما حجة كثير العلم والعمل منقطع القرين، قرأ عليه أبو الحسن الكسائي ويحيى العليمي وآخرون توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، أرخه يحيى بن آدم وأحمد بن حنبل. الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ص 134-138.

13- أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ابن زنجلة، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1402هـ/ 1982م، ص 514. وينظر: محمد ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج 2، ص 321. والإمام شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ضبط وتعليق: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1420هـ/ 2000م، ص 287-289.

14- سورة الأحزاب، الآية: 30.

15- ابن الجزري، **متن طيبة النشر في القراءات العشر**، رقم البيت: 857، ص 91.

قرأ أبو عمرو[16] ژيُضَعَّفْژ بالياء والتشديد ژالْعَذَابُژ، وقرأ ابن عامر وابن كثير ژنُضَعِّفْژ بالنون وتشديد العين وكسرها ژالْعَذَابَژ نصب، وقرأ نافع[17] وأهل الكوفة ژيُضَاعَفْژ بالياء والألف ژالْعَذَابُژ بالرفع[18].

وهذا التنوع في الأداء مرجعه للأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، وفق ما صرّحت به الأحاديث النبوية الشريفة على نحو ما سيأتي بإذن الله تعالى.

المسألة الثانية: الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة:

روى البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله! اقرأ يا هشام! فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أُنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر! فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أُنزلت، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه"[19].

16- أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري شيخ القراء والعربية، وأمه من بني حنيفة، مولده في نحو سنة سبعين وانتصب للإقراء في أيام الحسن البصري. قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، وفاته كانت في سنة أربع وخمسين ومائة. وقال خليفة بن خياط: وقيل توفي سنة سبع وخمسين ومائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 6، ص 407-410.

17- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم أبو رويم المقرئ المدني، أصله من أصبهان، أحد الأعلام، هو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أو حليف أخيه العباس وقيل: له عدة كنى منها أبو نعيم وأشهرها أبو رويم، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة وقال أبو قرة موسى بن طارق: سمعته يقول قرأت على سبعين من التابعين. مات سنة تسع وستين ومائة رحمه الله تعالى. الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ص 107 - 111.

18- ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص 575، وينظر: أبو بكر ابن الجزري، **شرح طيبة النشر**، ص 297.

19- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407هـ/ 1978م، حديث رقم: 2287، ج 2، ص 851، وحديث رقم: 4706،

وفي حديث آخر يرويه الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[20].

وروى مسلم بسنده عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. قال ابن شهاب الزهري: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام"[21].

وفي رواية أخرى له عن أبي بن كعب قال: "كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت

ج4، ص 1909، وينظر: معمر بن راشد الأزدي، **الجامع**، تحقيق: حبيب الأعظمي، (منشور كملحق بكتاب **المصنف** للصنعاني، ج 10)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1403هـ، حديث رقم: 20369، ج 11، ص 218، ومالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، حديث رقم: 473، ج 1، ص 201، ومحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، **مسند الشافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 237، ومسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: 818، ج1، ص 560، وسليمان بن الأشعث أبو داود الأزدي السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، حديث رقم: 358، ج 2، ص 75، وأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م، حديث رقم: 1008، ج 1، ص 324، ومحمد بن عيسى أبو عيسى السلمي الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم: 2943، ج 5، ص 193.

20- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 3047، ج 3، ص 1177، وينظر: أحمد ابن عمر البزار، **المسند**، تحقيق: محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط1، 1418هـ، حديث رقم: 2908، ج 7، ص 310، وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، تحقيق: عبد المهيمن طحان، مكتبة المنار، مكة المكرمة، ط 1، 1408هـ، ص 13.

21- القشيري، **صحيح مسلم**، حديث رقم: 819، ج 1، ص 561، وينظر: السجستاني، **سنن أبي داود**، حديث رقم: 1476، ج 2 ص 75.

عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي: يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم"[22].

وفي رواية أخرى عن أبي بن كعب: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار[23] قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"[24].

وأخرج ابن أبي شيبة بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: "إن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ القرآن على حرف... حتى بلغ سبعة أحرف كلها شاف كاف. كقولك: هلم وتعال، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة"[25].

22- القشيري، **صحيح مسلم**، حديث رقم: 820، ج 1،ص 561، وينظر: النسائي، **السنن الكبرى**، حديث رقم: 7986، ج 5، ص 5، النسائي، **سنن النسائي** (المجتبى)، حديث رقم: 941، ج 2، ص 154، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، **الأحاديث المختارة**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهصة الحديثة، مكة المكرمة، ط1، 1410هـ، حديث رقم: 1129، ج3، ص335-336، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م، ج 3، ص 11-12، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المطبعة الميمنة، مصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1414هـ/ 1994م، حديث رقم: 21170، ج 5، ص 122.

23- أضاة بني غفار: بفتح أوله واحدة "الإضاء" موضع بالمدينة، ينظر: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403هـ ج 1، ص 164.

24- القشيري، **صحيح مسلم**، حديث رقم: 821، ج 1، ص 562، وسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، **مسند أبي داود الطيالسي**، دار المعرفة، بيروت، حديث رقم: 558، ص 76.

25- عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1409هـ، حديث رقم: 30122، ج 6، ص 138، الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، حديث رقم: 20533، ج 5،

وأخرج السجستاني عن أبي بن كعب قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبي إني أقرئت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين فقال الملك الذي معي قل على حرفين قلت على حرفين فقيل لي على حرفين أو ثلاثة فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة قلت على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"[26].

المسألة الثالثة: إجماع الصحابة على فعل عثمان رضي الله عنه بالمصاحف:

فحينما بلغ عثمان بن عفان رضي الله عنه نبأ اختلاف الناس في أوجه قراءة القرآن الكريم، جمع من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم والمسلمين واستشارهم في الأمر وأجمعوا على رأيه، فأثبت رسم القرآن الكريم على الأوجه التي نزل بها الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر بما سوى ذلك أن يحرّق ويمحى رسمه.

روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك: "أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف"[27].

ص 51، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، تحقيق: صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط 1، 1408هـ/ 1988م، حديث رقم: 164، ج 1، ص 85، والمقدسي، **الأحاديث المختارة**، ج 3، ص 379، وأبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، القاهرة وبيروت، 1407هـ، ج 7، ص 150.

26- السجستاني، **سنن أبي داود**، ج 2، ص 75.

27- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 4702، ج 4،ص 1908، وينظر: القاسم بن سلام البغدادي، **فضائل القرآن للقاسم بن سلام**، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1415هـ/ 1995م، ج 2، ص 11، وأبو زيد عمر بن شبة البصري النميري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق: = = علي محمد وياسين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/ 1996م، حديث رقم: 1712، ج2، ص 117، والترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، حديث رقم: 3104، ج 5، ص 284، والنسائي، **السنن الكبرى**، حديث رقم 7988، ج 5، ص 6، ومحمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم، **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ/ 1978م، ج 1،ص 36.

وأورد السجستاني في كتاب المصاحف كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في هذه المسألة حيث قال: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا، فقال ما تقولون في هذه القراءة. قد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت...قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل"[28].

وصرّح القاري بجمع عثمان رضي الله عنه الصحابة ومن حضر وحدد عددهم بخمسين ألفا فقال: "فجمع عثمان رضي الله عنه الناس وعدتهم حينئذ خمسون ألفا فقال: ما تقولون وقد بلغني أن بعضهم يقول: قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرا قلنا: فما ترى قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فرقة ولا يكون اختلاف قالوا فنعم ما رأيت"[29].

والأثر الذي أورده الشيباني أكثر تفصيلًا حيث يقول: "صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص فبلغ معه أذربيجان، وكانوا يجعلون الناس ردا، فأقام حتى عاد حذيفة، ثم رجعا فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في سفرتي هذه أمرا لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا. قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أناسا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خيرا من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرؤوا على

28- أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص 97-98، وينظر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين عمر العمري، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج 39، ص 244، والنميري، **تاريخ المدينة المنورة**، ج 2، ص 123، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط 2، 1372هـ، ج 1، ص 52، وأحمد بن علي العسقلاني ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج 9، ص 18، وأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر البغدادي، **الفصل للوصل المدرج في النقل**، تحقيق: محمد الزهراني، دار الهجرة، الرياض، ط 1، 1418هـ، ج 2، ص 952.

29- علي بن سلطان محمد القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ/ 2001م، ج 5، ص 106.

ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرؤوا على أبي موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب، فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف، فرافقه أصحاب رسول الله وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود ما تنكر! ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا، فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى وقال أنا النذير العريان فأدركوا الأمة. فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعا ما رأى حذيفة فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي بكر..." (30).

ووفقا للآثار الأخرى ـ نحو الأثر الذي ساقه الهيثمي يظهر أن عثمان رضي الله عنه لما جمع الناس سألهم بالله عن حديث الأحرف السبعة، فأجمعوا أنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أقدم على ما أقدم عليه من نسخ المصاحف، وهذا يظهر بوضوح أن المصاحف التي كتبت في زمانه تحوي جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله على نبيّه الكريم، يقول الهيثمي: "حدثنا هوذة حدثنا عوف قال: بلغني أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلهن شاف كاف إلا قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ثم قال عثمان: وأنا أشهد معكم لأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك"(31).

وصرح الشافعي بأن عثمان لما نسخ المصاحف أرسلها إلى البلاد وجعلها أئمة يحتذى برسمها وأمر بما سواها أن يحرّق، فقال: "... فأرسل إلى حفصة بنت عمر أن أرسلي إلي بالصحف التي جمع فيها القرآن فأرسلت إليه بها حفصة فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبدالرحمن

30- محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ/ 1995م، ج 3، ص 8، وينظر: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، بيروت، ط 5، 1984م، ج 2، ص 583.

31- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، تحقيق: حسين الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط 1، 1413هـ/ 1992م، حديث رقم: 727، ج 2، ص 734، وينظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج 7، ص 152، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ، ج 1،ص 130، ومحمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 99، وشهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، ج 1،ص 20.

بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ... ففعلوا حتى كتبت المصاحف ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف وأمرهم أن يحرّقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به"[32].

وامتنع عبد الله بن مسعود في البداية عن اتباع أمر عثمان رضي الله عنهما إلا أنه عاد ورجع عن قوله إلى الرأي الذي أجمع عليه الصحابة وفي ذلك يقول الشافعي: "وبلغ عثمان شدة ذلك على عبد الله، فكتب إليه، إن الذي أتاك من قبلي ليس برأي ابتدعته ولا حدث أحدثته ولكن هذا القرآن واحد جاء من عند واحد وهؤلاء قراء القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم أهل دار الهجرة والمهاجرون والأنصار وصالحوا الأمصار قد نهضوا فيه وقاموا به في كل أفق وخافوا أن يلبس من بعدهم وأن يجعله الناس عضين وليس بهم أنت ولا أمثالك. فقام ابن مسعود يوم خطبته فخطب وعذر المسلمين وقال: إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ولكن ينزعه بذهاب العلماء. وإن الله لا يجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة فجامعوهم على ما اجتمعوا عليه وكان الحق فيما اجتمعوا عليه"[33].

وهذه المصاحف التي نسخها الصحابة وأرسلت إلى الأمصار لم تكن صورة طبق الأصل عن بعضها البعض، بل فرقت فيها الأحرف السبعة، وتنوع رسم بعض كلماتها وفق الأحرف السبعة ووفق ما ثبت رسمه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اجتهد عدد من العلماء في تتبع هذه الكلمات التي تنوع رسمها في مصاحف الأمصار على نحو ما نشهده في كتاب: **كتاب المصاحف** لأبي بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، وكتاب **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ابن عمر الداني، فنجد في كتاب **الداني** الأبواب الآتية: باب ذكر ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار من أول القرآن إلى آخره، باب ذكر ما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف، باب ذكر ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل العراق، باب ذكر ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز

32- ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج 39، ص 241، وينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424هـ/ 2004م، ج 19، ص 277.

33- ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج 39، ص 246، وينظر: محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط1، 1402هـ/ 1984م، ج 5، ص 199.

والعراق والشام المنتسخة من الإمام بالزيادة والنقصان[34]. والمصحف الشريف برواية حفص عن عاصم طبعة المدينة المنتشر بكثرة لم يكن نسخة من أحد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى بلاد المسلمين، بل جمع رسمه بما يوافق رواية حفص عن عاصم من المصاحف العثمانية. وهذا ما نجده صراحة في الملحق في آخر المصحف الشريف، وفيه ما نصه:

"تعريف بهذا المصحف الشريف، كتُب هذا المصحف وضُبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأُخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المنتسخة منها. وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف. هذا وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره في المصاحف العثمانية الستة السابق ذكرها"[35].

المطلب الثاني: مصدر الأحرف السبعة:

صرحت آيات القرآن الكريم أن مصدر قراءة القرآن هو الوحي المنزّل إلى النبي صلى الله عليه وسلم حصرا وقصرا، وبما أن الأحرف السبعة هي صور الأداء الصوتي لكلمات القرآن الكريم، فمصدرها الوحي، قال سبحانه وتعالى: ژ□ □ ى ى ې ې □□ □ □ □ □ □ □ □ □ژ[36]، ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژژ[37]، ژ□ □ □ □ □ □ ژ[38]، ژ ک ک ک گ گ گژ[39]، ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿژ[40]، ژ ٹ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ[41]، وقال

34- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، 1983م، تصوير عن الطبعة الأولى، 1940م، ص 83-105.

35- ملحق المصحف الشريف، طبعة المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص أ.

36- سورة الكهف، الآية: 27.

37- سورة الأحزاب، الآية: 2.

38- سورة آل عمران، الآية: 108.

39- سورة الشورى، الآية: 7.

40- سورة طه، الآية: 114.

سبحانه وتعالى: ژٹ ٹ ٹژ[42].

وثبت في الأحاديث النبوية الشريفة أن الأحرف السبعة منزلة من الله سبحانه وتعالى بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، ومأخوذة عنه حصرا وقصرا. ففي حديث البخاري يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ... فقلت: من أقرأك ... قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. ... فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أُنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أُنزلت[43]. ومن المعلوم بالضرورة أن قوله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أُنزلت" يدل على نزولها بالوحي والذي لا يكون إلا على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه المنزّل فقال جل جلاله: ژگ گ گ گ گ گژ[44]، وهذا الأمر يستدعي حفظ جميع الأحرف التي نزل عليها القرآن الكريم، وأمر قد أنزله الله لا يجوز لأحد أن يتركه، وفي ذلك يقول ابن الجزري: "ذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، قال هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن"[45].

41- سورة القيامة، الآيتان: 17-18.

42- سورة المزمل، الآية: 4.

43- ورد سابقا في المطلب الثاني.

44- سورة الحجر، الآية: 9.

45- ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1ص31. وينظر: محمد بن علاء الدين علي بن محمد الأذرعي الدمشقي ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 4، 1391هـ، ص353، والسيوطي، **الإتقان**

وأشار إلى ذلك الزرقاني بتحليل جيد قال فيه: "ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن جميع هذه الأحرف موجودة بالمصاحف العثمانية... ومعنى هذا أن الصحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السبعة ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك... والتحقيق أن القول باشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة كلها أو بعضها يتوقف على أمرين: أحدهما تحديد المراد من الأحرف السبعة وثانيهما الرجوع إلى ما هو مكتوب وماثل بتلك المصاحف في الواقع... ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع... نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقض ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب: وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلا أو بعضا بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأسا"(46).

المطلب الثالث: الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سبعة أحرف توسعة على الأمة الإسلامية وفي ذلك يقول الداني: "وأما وجه إنزال القرآن على هذه السبعة أحرف وما الذي أراد تبارك اسمه بذلك، فإنه إنما أنزل علينا توسعة من الله تعالى على عباده ورحمة لهم وتخفيفا عنهم، عند سؤال النبي صلى الله عليه وسلم إياه لهم، ومراجعته له فيه، لعلمه صلى الله عليه وسلم بما هم عليه من اختلاف اللغات، واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره، فخفف تعالى عنهم وسهل عليهم"(47). وهذه التوسعة والرحمة بالأمة لا يجوز قصرها على اللهجات التي وردت في القراءات المتواترة فحسب، بل من هذه التوسعة أيضًا ما نشهده في الأحكام الشرعية المترتبة على تنوع الأداء القرآني، وما نشهده من سعة في معاني التفسير وغيره من موضوعات العلوم ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

قول الله سبحانه وتعالى: ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە
ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ(48).

في **علوم القرآن**، ج 1،ص 139، ومحمد أحمد القضاة، أحمد شكري وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار، الأردن، ط 1، 1422هـ/ 2001م، ص 33.

46- الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج 1، ص 118-119.

47- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، ج 1،ص 31.

48- سورة البقرة، الآية: 222.

تنوعت أوجه الأداء في القراءات المتواترة في قوله تعالى: ژيطهرنژ، حيث "قرأ حمزة[49] والكسائي[50] وأبو بكر[51]ژيطَّهَّرنژ بتشديد الطاء والهاء... حتى يغتسلن بالماء بعد انقطاع الدم وذلك أن الله أمر عباده باعتزالهن في حال الحيض إلى أن يتطهرن بالماء... وقرأ الباقون ژيَطْهُرْنَژ بتخفيف الطاء وضم الهاء... حتى ينقطع الدم عنهن"[52]. قال القرطبي: "اختلفوا في وطء الحائض في طهرها قبل الاغتسال، فذهب مالك، والشافعي والجمهور إلى أن ذلك لا يجوز حتى تغتسل. وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن ذلك جائز...، وذهب الأوزاعي إلى أنها إن غسلت فرجها بالماء جاز وطؤها، وبه قال أبو محمد بن حزم"[53]. ولو كانت القراءة بالتشديد فقط ژيطَّهَّرنژ، لم يجز لأحد إتيان زوجه إلا بعد الغسل.

وفي قول جل جلاله: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺژ[54].

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالى: ژوأرجلكمژ، فقرأ "نافع وابن عامر والكسائي وحفص ژوَأَرْجُلَكُمْژ بالفتح وحجتهم أنها معطوفة على الوجوه والأيدي فأوجبوا الغسل عليهما. وقرأ ابن كثير

49- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحجة شيخ القراءة، أبو عمارة التيمي مولاهم الكوفي الزيات، ثقة، توفي سنة ثمان وخمسين ومائة وله ثمان وسبعون سنة فيما بلغنا والصحيح وفاته في سنة ست وخمسين ومائة رحمه الله. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 7، ص 90-92.

50- الكسائي علي بن حمزة بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي، الإمام المعلم المقرىء، أخذ القراءة عن حمزة الزيات وقرأ النحو على معاذ ثم على الخليل ثم خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة وكتب عن العرب كثيرا، توفي بطوس سنة 189هـ، ينظر: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط 1، 1407هـ، ج 1، ص 152-153.

51- أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي، الإمام أحد الأعلام مولى واصل الأحدب وكان حناطا، اختلف في اسمه على عشرة أقوال أصحها قولان: كنيته وما رواه أبو هشام الرفاعي وحسين بن عبد الأول أنهما سألاه عن اسمه فقال شعبة...قال هارون بن حاتم سمعته يقول ولدت سنة خمس وتسعين. قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم وروى عن إسماعيل السدي وأبي حصين...وعرض القرآن أيضًا على عطاء بن السائب وأسلم المنقري وعمر دهرا، وكان سيدا إماما حجة كثير العلم والعمل منقطع القرين، قرأ عليه أبو الحسن الكسائي ويحيى العليمي وآخرون، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة أرخه يحيى بن آدم وأحمد بن حنبل. ينظر: الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، ج1، ص 134-138.

52- ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص 134-135.

53- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار ابن حزم، 1420هـ/ 1999م، ص 53-54.

54- سورة االمائدة، الآية: 90.

وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ خفضا، عطفا على الرؤوس والصواب من القول ما عليه فقهاء الأمصار أن الغسل هو الواجب"[55]. وقد بينت السنة المشرفة أن المسح على الخفين للمقيم يوم وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن[56]، ولو اقتصرت أوجه القراءة في الآية الكريمة على فتح اللام ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ لما جاز المسح على الخفين إطلاقا. وأكتفي بهذين المثالين إذ يتضح فيهما أن التيسير على الأمة غير قاصر على اللهجات التي يقرأ بها فحسب.

المبحث الثاني: بعض المعاني المذكورة في الأحرف السبعة وبيان بطلانها:

اختلفت تفسيرات السابقين لحديث الأحرف السبعة وتعددت أقوالهم في بيان معناها وفقا لفهمهم للحديث النبوي الشريف الذي ورد فيه إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لقراءة هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حتى أن السيوطي أوصلها إلى ما يقارب الأربعين قولا فقال: "اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا"[57]. ولا يسعني أن أورد جميع الأقوال التي ذكرها السيوطي، فكثير منها متداخل، لكني سأشير إلى بعض الآراء التي كثر تداولها ونقلها بين طلبة العلم، وأبيّن بطلانها، ثم أذكر تفسيري للأحرف السبعة، مستندا إلى الأدلة والبراهين.

المطلب الأول: أنه من المشكل الذي لا يعرف معناه:

وهذا أول الأقوال التي أوردها الزركشي في بيان معنى الأحرف السبعة حيث قال: "والقائلون بأنها كانت سبعا اختلفوا على أقوال؛ أحدها: أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه، لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفا، وتسمي القصيدة بأسرها كلمة. والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة، والحرف أيضًا المعنى والجهة. قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي"[58]. وهو الذي تبناه الزركشي حيث قال: "وأرجحها عندي قول من قال إن هذا من المتشابه الذي لا يدرى تأويله فإن الحديث كالقرآن

55- ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ج 1، ص 221-223.

56- ينظر: البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، باب المسح على الخفين، ج1، ص 84-85، والقشيري، **صحيح مسلم**، باب المسح على الخفين، حديث رقم: 276، ج 1،ص 232، والشافعي، **مسند الشافعي**، ص 17.

57- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 130.

58- محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، ج 1، ص 213، وينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، **الديباج على صحيح مسلم**، تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، 1416هـ/ 1996م، ج 2، ص 409، والقاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج 1، ص 454، والزرقاني، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ، ج 2، ص 16، والآلوسي، **روح المعاني**، ج 1، ص 20.

منه المحكم والمتشابه"[59].

وهذا القول يحتمل معنيين، أحدهما: أن الإشكال يكمن في تحديد كل حرف من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، ومن هذه الناحية يمكن قبول كلام السيوطي. والثاني: أن الإشكال يكمن في فهم حديث الأحرف السبعة ـ وهذا الظاهر من كلامه ـ، ومن هذه الناحية تكون عبارة السيوطي السابقة بعيدة كل البعد عن الصحة، إذ الغاية من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف هي التيسير على الأمة، ولا يكون التيسير بأمر مجهول. كما أن الحديث الذي وردت فيه قصة عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم يظهر صراحة أن الخلاف بينهما كان يدور حول القراءة القرآنية، وفيه ما نصه: "فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[60]، وعليه عقّب النبي صلى الله عليه وسلم مبينا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

المطلب الثاني: التوسعة وإرادة التكثير:

ومن الأقوال المنقولة في تفسير معنى الأحرف السبعة: أن المراد بالسبعة التسهيل والتيسير والتكثير، دون أن تكون حقيقة العدد مرادة، واحتج أصحاب هذا القول بأن كلمة السبعة في اللغة تطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، وتطلق كلمة السبعين في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد بها العدد المعين[61]. إلا أن الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين بطلان هذا القول، وتدل صراحة على إرادة العدد، وانحصاره في سبعة. يقول ابن الجزري معقبا على القول بالتوسعة: "وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه"[62]. ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

59- السيوطي، **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1389هـ/ 1969م، ج 1، ص 160.

60- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 2287، ج 2، ص 851.

61- ينظر: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي، **معالم السنن**، صححه: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط 1، 1351هـ/ 1932م، ج 1، ص 293، والداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، ص 28، وشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، 1395هـ/ 1975م، ج 1،ص 99، والعسقلاني، **فتح الباري**، ج9، ص 23، وبدر الدين محمود بن أحمد العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، = = بيروت، ج 20، ص 20، ومحمد شمس الحق أبو الطيب العظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ/ 1995م، ج 4، ص245، ومحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 8، ص 212.

62- ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج 1، ص 26.

أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[63]. "وفي حديث أبي بكرة... فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة. فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره"[64].

المطلب الثالث: القراءة بالمعنى:

توقف عدد من أهل العلم في فهم الأحاديث النبوية: "... فقرءا فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما"، وما ورد في بعض الأحاديث نحو: "فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"[65]. و"... كلها شاف كاف. كقولك: هلم وتعال"[66]. و"... ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما عزيزا حكيما"[67]. وأخذوا يفسرون ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم سمح للناس بأن يقرأوا وفق لهجاتهم، أو أن يغيروا بعض كلمات القرآن الكريم بالمرادف لها في اللغة، دون أن يخلّوا بالمعنى[68]، فالهذلي يقرأ "عتى حين" يريد ﴿عَتَّىٰ حِينٍ﴾[69] لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها[70]. وصرح مجاهد بن جبر بأن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود قرءا قوله تعالى: ﴿ٱمۡضُواْ﴾[71] فامضوا إلى ذكر الله[72].

63- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 3047، ج 3، ص 1177.

64- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1،ص 130، وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج 1، ص 20.

65- القشيري، **صحيح مسلم**، حديث رقم: 821، ج 1، ص 562، وينظر: الطيالسي، **مسند أبي داود الطيالسي**، دار المعرفة، بيروت، حديث رقم: 558، ص 76.

66- ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، حديث رقم: 30122، ج 6، ص 138، وأحمد بن حنبل. **المسند**، حديث رقم: 20533، ج5، ص51، وأبو محمد الكسي، **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، حديث رقم: 164، ج1، ص85، والهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج 7، ص 150، والبكري، **الأحاديث المختارة**، ج 3، ص 374.

67- السجستاني، **سنن أبي داود**، ج 2، ص 75.

68- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 1، ص 42، وينظر: محمد أنورشان ابن معظم شان الكشميري، **العرف الشذي شرح سنن الترمذي**، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1425هـ/ 2004م، الحديث رقم: 2943، ج4، ص218- 219، والقاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج1، ص454-455، ومحمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، 1997م، ج 1، ص 51-52، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، **مجلة البحوث الإسلامية**، ج 49، ص 282، وأبو شامة، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص69.

69- سورة يوسف، الآية: 35.

70- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 32.

71- سورة الجمعة، الآية: 9.

وروى الإمام مالك أن عمر بن الخطاب قرأ بذلك[73]، وبه أفتى مالك.

وقال الإمام الشافعي: "كان الله لرأفته بخلقه أنزل كتابه على سبعة أحرف، معرفة منه بأن الحفظ قد يزل، ليحل لهم قراءته وإن اختلف اللفظ فيه، ما لم يكن في اختلافهم إحالة معنى، كان ما سوى كتاب الله أولى أن يجوز فيه اختلاف اللفظ ما لم يحل معناه"[74].

وروى النمري بسنده عن أبي الطاهر أنه قال: "قال أبو جعفر الطحاوي: كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها لأنهم كانوا أميين، لا يكتبون إلا القليل منهم، فكان يشق على كل ذي لغة منهم أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك، حتى كثر من يكتب منهم، وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرؤوا بذلك على تحفظ ألفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها وبان بما ذكرنا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف"[75].

وهذا القول هو الذي تبنّاه الدكتور غانم قدوري الحمد حيث يقول: "ويمكن أن نخلص إلى نتيجة تلخص المراد من الأحرف السبعة، وهو التعبير عن الرخصة في القراءة للصحابة الذين لم تمكنهم عاداتهم اللغوية من نطق القرآن الكريم باللفظ المنزّل بلغة قريش، وذلك بالترخيص لهم بقراءته بعربيتهم التي اعتادوها ونشأوا عليها، وهي لا تبتعد كثيرا عن عربية قريش التي نزل بها القرآن، فكانت القراءات القرآنية نتيجة الرخصة"[76]. متبنيا في رأيه رأي أستاذه عبد الصبور شاهين[77]، والذي يقول: "لا ريب

72- أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، **تفسير مجاهد**، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، دار المنشورات العلمية، بيروت، ج 2، ص 674.

73- الأصبحي، **موطأ الإمام مالك**، حديث رقم: 239، ج 1، ص 106، وينظر: الشافعي، **مسند الشافعي**، ج 1، ص50، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، **تفسير الصنعاني**، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ، ج 3، ص 291.

74- الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، 1358هـ/ 1939م، ص274.

75- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، ج 8، ص293-294، وابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص 353.

76- غانم قدوري الحمد، **اللقاء العلمي لشبكة التفسير والدراسات القرآنية**، 1426هـ/ 2005م، ص 30.

في رأينا أن مشكلة القراءة بالمعنى نتيجة طبيعية لإباحة قراءة القرآن على سبعة أحرف، وبخاصة تلك الروايات التي حددت أحيانا صورة من صور الاختلاف المباح في نظامها... هذه الإباحة كانت في حدود القراءة، لا التسجيل، وإن عملية كتابة الوحي كانت هي الفيصل الذي يحفظ على القرآن وحدة الصورة، وينفي عنه تعدد الوجوه المفسدة أحيانا للنص، وإن مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم كل عام لما نزل من القرآن مع جبريل عليه السلام، كانت ضمانا آخر لهذه الوحدة، وعاصما من الزيادة، أو النقص، أو التحريف"[78].

والصحيح أن القراءة بالمعنى أمر باطل لا يجوز بأيّ حال من الأحوال، إذ يتنافى ذلك مع الآيات القرآنية الكريمة التي تقصر نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وحده دون غيره، ومنها قوله تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ[79]، وقوله تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ[80]. وقوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ[81]. وقوله تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ[82]. وقوله تعالى: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ[83].

ويخالف الأحاديث النبوية الشريفة حيث صرّح النبي صلى الله عليه وسلم فيها أن الأحرف السبعة منزلة من الله تعالى، ولا يكون الإنزال إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي حديث عمر وهشام بن حكيم ما نصه: "... فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها، فقال لي: أرسله. ثم قال له: اقرأ، فقرأ. قال: هكذا أُنزلت. ثم قال لي: اقرأ، فقرأت. فقال: هكذا أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر"[84]. بالإضافة إلى أن هذا الأمر يتنافى مع إعجاز القرآن الكريم.

77- ينظر: المرجع السابق، ص 39، وعبد الصبور شاهين، **تاريخ القرآن**، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط3، 2007م، ص 44.

78- عبد الصبور شاهين، **تاريخ القرآن**، دار القلم، القاهرة، 1966م، ص 119.

79- سورة البقرة، الآية: 97.

80- سورة الشعراء، الآيات: 192-194.

81- سورة الإسراء، الآية: 106.

82- سورة إبراهيم، الآية: 1.

83- سورة ص، الآية: 29.

84- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 2287، ج 2، ص 851.

وعقّب ابن حبان على الحديث الذي ورد فيه تمثيل للأحرف السبعة بـ: "حكيما عليما غفورا رحيما" بأن هذه العبارة إدراج من بعض الرواة وليست مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف حكيما عليما غفورا رحيما. قول محمد بن عمرو أدرجه في الخبر والخبر إلى سبعة أحرف فقط"(85).

وقد تنبّه لهذا الموضوع القول بجواز القراءة بالمعنى العديد من العلماء منهم الإمام الباقلاني حيث استدل في كتابه **نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم** على بطلان هذا الأمر في باب أسماه بـ: "الكلام في إبطال القراءة على المعنى دون اللفظ"، ومن الأدلة التي ذكرها: "أن أبا بكر رحمه الله إذا علم أن النبي صلى الله عليه وسلم وسّع في ذلك فلا يجوز له تضييقه، ومنع القارئ من ترك الكلمة بما هو في معناها، ولو جاز ذلك أيضًا لأدى إلى الزيادة العظيمة في القرآن الكريم، ولبدّل أكثره، بحيث لا يحصر ذلك عدد، وهذا بين البطلان لا خفاء به، ولا شبهة في رده، ولو كان القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المعنى، وتبدل اللفظة بما يقوم مقامها، لم يخرج عمر وهشام بن حكيم وأبي مع الذين سمعوهم يقرأون خلاف قراءتهم إلى ما خرجوا إليه، ولم يكن في ذلك النزاع والخصام، ولم يجز أن يتداخل أبي من الشك مثل الذي كان يعتريه في الجاهلية، حتى يحتاج النبي صلى الله عليه وسلم تثبيته، والرغبة إلى الله تعالى في إزالة الشك عنه، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه كذلك أنزل عليّ، فدل على تضييق الأمر عندهم وحصره"(86).

وعقّب ابن حزم على قول الإمام مالك المتضمن جواز القراءة بالمعنى، بقوله: "وهذا إسناد عنه في غاية الصحة وهو مما أخطأ فيه مالك مما لم يتدبره، لكن قاصدا إلى الخير. ولو أن أمرا ثبت على هذا وأجازه بعد التنبيه له على ما فيه، وقيام حجة الله تعالى عليه في ورود القرآن بخلاف هذا، لكان كافرا ونعوذ بالله من الضلال"(87).

85- ابن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، حديث رقم: 743، ج 3، ص 18.

86- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1971م، باب الكلام في إبطال القراءة على المعنى دون اللفظ، ص 321.

87- علي بن أحمد ابن حزم أبو محمد الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1404هـ، ج4، ص 559-560، وينظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، **الاستذكار الجامع**

المطلب الرابع: سبع لغات (لهجات) متفرقة في القرآن:

فسّر بعض المتقدمين الأحرف السبعة بأنها لهجات من لهجات العرب متفرقة في القرآن الكريم، ولا يعنون بذلك أن يتغير نطق بعض الكلمات بأكثر من صورة وفقا لهذه الأحرف، بل يقصدون أن بعض كلمات القرآن وردت بإحدى اللهجات العربية، وبعضها الآخر بلهجة ثانية. وعلى قولهم فالذي يقرأ القرآن الكريم مرة واحدة يكون قد قرأ جميع الأحرف السبعة. وفي ذلك يقول أبو عبيد القاسم ابن سلام البغدادي: "وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة. وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض، وذلك يبين في أحاديث تترى"(88).

وهذا القول بيّن البطلان وقد رد عليه كثير من العلماء السابقين، فقال ابن عبد البر: "وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم "أنزل القرآن على سبعة أحرف" سبع لغات. وقالوا هذا لا معنى له، لأنه لو كان ذلك كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأنه من كانت لغته شيئًا قد جبل وطبع عليه وفطر به لم ينكر عليه، وأيضًا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي مكي، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، كما محال أن يقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا منهما بغير ما يعرفه من لغته"(89).

كما أن الكثير من الكلمات القرآنية التي تنوعت أوجه أدائها وفقا للقراءات القرآنية لا يرجع تنوعها إلى اللهجات نحو: "ملك، مالك" و "ننشزها، ننشرها" و "وصى، أوصى".

المبحث الثالث: تفسيري للأحرف السبعة:

لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق: سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج 2، ص485-486، وابن عبد البر النمري، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ج 8، ص 485.

88- أبو عبيد، **فضائل القرآن للقاسم بن سلام**، ص 339، وقد أورد الطبري هذا القول ورد عليه، ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، ج1، ص20، وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج 5، ص 11.

89- أبو شامة، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 102-103، وينظر: مناع خليل القطان، **نزول القرآن على سبعة أحرف**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص 36-37.

المتتبع للآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم لا يجد فيها تفسيرا صريحا لمعنى الأحرف السبعة، ولا سؤالا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا إلى أحد آخر من الصحابة عن معنى الأحرف السبعة. وعلل ذلك الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح بوضوح المعنى لديهم فقال: "كيف خلت جميع ألفاظ الحديث من عبارة صريحة تفسر الأحرف وتبينها، ولماذا أضرب رواة الخبر من الصحابة رضوان الله عليهم عن ذلك؟ نقول: لعل السبب هو واحد من أمرين: إما وضوح المراد من الأحرف بشكل جعلها غير محتاجة إلى تفسير، فتفسيرها حينئذ كتفسير الشمس في رابعة النهار، ولذلك لم يرد أبدا في الروايات أن أحدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى الأحرف، فقال: معناها كذا. ولا ورد أن الصحابة سألوا أو سئلوا عن ذلك، وقد اطلعوا عليها وعلموها. وإما عدم وضوح معناها، وصعوبة تفسيرها، وتعسُّر شرح المراد منها، لانغلاق حقيقته على المدارك في ذلك الوقت، ولكثرة فروعه وتشعبها، ففهمه يحتاج إلى استقراء وتأمل، وبحث ودراسة. ولكن هذا مردود بما بيّناه سابقا حيث أثبتنا أن معنى الأحرف والمراد منها كان معلوما لدى الصحابة، ومن الضروري أن يكون معلوما لدى الأمة، حتى تتحقق الحكمة من الرخصة. ومن السخف بمكان أن ندعي أن المراد لم يكن معلوما لدى الصدر الأول من الأمة، وهم أعمق فهما وأكثر علما بما أنزل، ثم يأتي أناس بعد ذلك بمئات السنين فيكشفون عن المراد، لذلك ترجح لدي ـ والله أعلم ـ أنهم سكتوا عن تفسير معنى الأحرف لوضوحه لديهم وكونه لا يحتاج إلى تفسير"[90].

وأقول: إن هذا الكلام صحيح في بيان عدم سؤال الصحابة عن معنى الأحرف السبعة، لكنني أرى أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن حقيقتها للصحابة رضوان الله عليهم بادئ الأمر، فلما تبين لهم المعنى، أغنى ذلك عن السؤال، وهذا ما سأتحدث عنه في المطلب الآتي بإذن الله تعالى. وقد بقي معنى الأحرف السبعة معلوما، إلى أن اختار ابن مجاهد سبعة قراء وألف كتابه **السبعة في القراءات**، حيث بدأ يتسرب الإشكال في معنى الأحرف السبعة لغير المتخصصين، وفي ذلك يقول المهدوي: "ولقد فعل مسبّع هؤلاء السبعة ما لم يكن ينبغي أن يفعله، وأشكل على العامة، حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله. وذلك أنه قد اشتهر عند الكافة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، ثم عمد هذا المسبع إلى قوم اختار كل رجل منهم لنفسه قراءة من جملة القراءات التي رواها، وكانوا لعمري أهلا للاختيار، لثقتهم وأمانتهم وعلمهم وفصاحتهم، فأطلق عليهم التسمية بالقراءات، فأوهم بذلك كل من

90- عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، **حديث الأحرف السبعة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص 63-64.

قلّ نظره، وضعفت عنايته، أن هذه القراءات السبع هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، وأكد وهمه ما يراه من اجتماع أهل الأمصار عليها واطّراحهم ما سواها. وذلك لعمري موضع إشكال على الجهّال، وليته إذ ذهب إلى الاقتصار على بعض قراء الأمصار، واجتهد في الاختيار، جعلهم أقل من سبعة أو أكثر، فكان يزيل بذلك بعض الشبهة الداخلة على الأغمار. نرغب إلى الله عزوجل، التجاوز عن فعله الذي اعتمده، وحسن المجازاة على ما قصده، فإنه لم يرد إلا الخير والفضل، لكن خفي عليه ما يدخل بذلك على أهل الضعف والجهل، والله المستعان"[91].

المطلب الأول: بيان معنى الأحرف السبعة:

من خلال دراستي وتدريسي للقراءات القرآنية ولتاريخ القرآن الكريم وما يتعلق به ما يقارب الربع قرن، وبعد الاطلاع على كثير من المصادر والمراجع المؤلفة في هذا الموضوع، وبالتمعن الدقيق في ألفاظ الحديث الشريف، المتحدث عن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، أخلص إلى التعريف الآتي للأحرف السبعة، فأقول سائلا الله السداد والتوفيق: الأحرف السبعة هي سبع مرات نزل فيها الوحي بالقرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم، تنوعت في كل مرة منها هيئة أداء عدد من الكلمات القرآنية، خُيِّر القارئ بقراءة أيّ منها، تيسيرا ورحمة بهذه الأمة. محفوظة في القراءات العشر المتواترة أداء. مثبتة رسما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار.

علما أن هذا التعريف ليس من قبيل الابتداع، بل أراه صريحا في ألفاظ الحديث النبوي وعبارات علماء سلف هذه الأمة:

- فمستند قولي: سبع مرات نزل فيها الوحي بالقرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم، ما هو ظاهر في نص الحديث الشريف: "أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[92]. ومستند قولي: تنوعت في كل مرة منها هيئة أداء عدد من الكلمات القرآنية، ما هو ظاهر في الحديث الشريف أيضًا، حيث قال عمر بن الخطاب: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ

91- أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، **بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مطبوع ضمن كتاب **نصوص محققة في علوم القرآن الكريم**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1411هـ/ 1991م، ص 33-34.

92- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 3047، ج 3، ص 1177.

سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[93]. وقال المهدوي: "فهذا الحديث ينبئ أن الحروف التي نزل عليها القرآن في المسموع لا في المفهوم"[94].

- ووصف القراءات هيئة أداء الكلمات القرآنية بالأحرف صريح في كلام عدد من العلماء المتقدمين، يقول الفراهيدي: "وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفا، يقال يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود أي في قراءته"[95]. ويقول ابن سيده: "الحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه"[96]. ويقول الداني: "والوجه الثاني من معنى الأحرف: أن يكون صلى الله عليه وسلم سمى القراءات أحرفا على طريق السعة[97]، كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكان كسبب منه وتعلق به ضربا من التعلق، وتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفا، وإن كان كلاما كثيرا، من أجل أن منها حرفا قد غير نظمه، أو كسر أو قلب إلى غيره، أو أميل أو زيد أو نقص منه، على ما جاء في المختلف فيه من القراءة. فلما كان ذلك نسب صلى الله عليه وسلم القراءة والكلمة التامة إلى ذلك الحرف المغير، المختلف اللفظ من القراءة، فسمى القراءة إذ كان ذلك الحرف منها حرفا، على عادة العرب في ذلك، واعتمادا على استعمالها نحوه. ألا ترى أنهم قد يسمون القصيدة قافية، إذ كانت القافية منها"[98].
- ومستند قولي: خيّر القارئ بقراءة أي منها، ظاهر في الحديث النبوي الشريف أيضًا، وفيه: "كلها شاف كاف"[99]. و "فاقرؤوا ما تيسر منه"[100].
- وقولي: أثبتت جميعها رسما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا ظاهر في كلام عدد من العلماء

93- المرجع السابق، حديث رقم2287، ج2ص851.

94- المهدوي، **بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات**، ص 242، وينظر: القاري، **حديث الأحرف**، ص 65.

95- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، ج 3، ص211، وينظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج 5، ص 10.

96- أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م، ج 3، ص 306، وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، ج 9، ص 41.

97- السعة في استخدام المصطلح (إطلاق الحرف على القراءة)، وليس المقصود السعة في القراءة بالمعنى.

98- الداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، ص 28.

99- ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، حديث رقم: 30122، ج 6، ص 138.

100- البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم: 2287، ج 2، ص 851.

السابقين، منهم الأزهري حيث يقول: "وهذه الأحرف السبعة... غير خارجة من الذي كُتب في مصاحف المسلمين، التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون، فمن قرأ بحرف لا يخالف المصحف، بزيادة أو نقصان أو تقديم مؤخر أو تأخير مقدم، وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار، فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها. ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف بذلك جمهور القراء المعروفين، فهو غير مصيب. وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديما وحديثا، وإلى هذا أومى أبو العباس النحوي وأبو بكر الأنباري في كتاب له ألفه في اتباع ما في المصحف الإمام، وافقه على ذلك أبو بكر مجاهد مقرئ أهل العراق وغيره من الأثبات المتقنين. ولا يجوز عندي غير ما قالوا، والله يوفقنا للاتباع وتجنب الابتداع، إنه خير موفق وخير معين"[101].

والمهدوي حيث يقول: "ثم اختلف الناس بعد في كيفية الحروف السبعة، هل يشتمل عليها المصحف التي اجتمعت عليه الأمة أو على بعضها؟ فأشبه ما قيل في ذلك وأصحه قولان، أحدهما: أن المصحف قد اشتمل على جميع الحروف المنزل عليه القرآن، وأن خطه محتمل لجميعها، وأن جميع ما روي من القراءات المخالفة للخط محمول على وجه التفسير، وحمله الرواة على أنه من التلاوة. وهذا تأويل ما ثبت به النقل. وأسقطوا من ذلك ما ضعف النقل فيه، وقالوا: إن هذا القرآن إنما هو منقول نقل الكافة، فلا يجوز أن يعارض بأخبار الآحاد التي لا توجب العلم. وقالوا: لا يجوز أن يمنع الصحابة الذين جمعوا المصحف من قراءة شيء، قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ، ويجمعوا مصحفا موافقا لبعض الحروف التي نزل القرآن عليها مخالفا لبعضها. وقالوا: إنما نسخ عثمان رضي الله عنه الصحف التي كانت عند حفصة التي جمعها أبو بكر رضي الله عنه لم يزد فيها ولا نقص منها. فهذا مذهب حسن يعضده النظر وتوافقه الأصول..."[102].

ويقول ابن الجزري: "ذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، قال هؤلاء:

101- الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج 5، ص 11-12.

102- المهدوي، **بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات**، ص 242-243، وينظر: المطلب الثالث من المبحث الأول في هذا البحث.

ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن"[103].

المطلب الثاني: قراءة الصحابة للأحرف السبعة ونقلها:

استمر نزول القرآن الكريم على حرف واحد بهيئة أداء واحدة في الحقبة المكية والمدنية إلى ما بعيد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، حيث كان هشام بن حكيم من الطلقاء وأسلم عام الفتح[104]. وقد أشارت بعض روايات حديث الأحرف السبعة أن بداية نزولها كان عند أضاة بني غفار موضع نبع ماء في المدينة المنورة. وكان ذلك بعد عام الفتح، لما ورد من قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم الذي قرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئ بها النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب. وسورة الفرقان من السور المكية التي نزلت قبل الهجرة، وهذا يدل صراحة على تعدد نزول القرآن الكريم بالأحرف السبعة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ الصحابة القرآن الكريم، بكل الأحرف التي أنزلها الله عليه، كل وفق طاقته وقدرته، ففي رواية المقدسي عن أبي عبد الرحمن السلمي يقول: "قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين"[105]. وقال الخازن: "أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف وألزمه بها لأنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي

103- ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج 1،ص 31، وينظر: ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص 353، والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 139، والقضاة وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**، ص 33.

104- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص311، وينظر: الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج 5، ص 414، وكمال الدين عمر بن أحمد ابن أبي جرادة، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1988م، ج 6، ص 2903، ومحي الدين بن شرف النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م، ج 2، ص 435، ويوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م، ج 30، ص195، والذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م، ج 3، ص 663، والذهبي، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، ط2، 1413هـ/ 1992م، ج 2، ص 336، والعسقلاني، **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/ 1984م، ج 11، ص 35، وصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزجي اليمني الأنصاري، **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: أبو الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، حلب وبيروت، ط5، 1416هـ، ج 1، ص 409.

105- أبو شامة، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 69.

مرتين"[106]. وفي رواية الزهري عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "قرأت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العام الذي عارضه جبريل فيه بالقرآن مرتين، والله لو أني أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه والله ما أعلمه"[107].

وقد يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة السورة بأحد الأحرف السبعة ويقرئ الآخر نفس السورة بحرف آخر، وهذا ما يظهر جليا في قصة عمر وهشام، وأبيّ وصاحبيه؛ حيث لم يؤمر المسلمون باستظهار القرآن الكريم كاملا ولا بحفظ جميع الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم، وهذا ما أشار إليه الحديث النبوي صراحة، وفيه: "كلها شاف كاف"[108]، و "فأيّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"[109]. إلا أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يغفلوا شيئًا مما أنزله الله تعالى على نبيّه الكريم، ونقلوه بجميع الأوجه التي نزل عليها إلى التابعين الذين كان بعضهم يقرأ على أكثر من صحابي، ثم يختار القراءة التي يقرأ بها في الصلاة من بين الحروف التي يأخذها عنهم، دون أن ينكر شيئًا من الحروف الأخرى لأنها كلها منزلة من الله.

ولما قام بعض التابعين بتفضيل وجوه من القراءة من الأحرف السبعة التي أخذوها عن الصحابة رضوان الله عليهم على وجوه أخرى وسمع ذلك حذيفة بن اليمان أسرع إلى الخليفة ليتدارك هذا الأمر، فجمع عثمان رضي الله عنه الصحابة، وأجمعوا على قطع دابر الخلاف، وإثبات الحروف التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في المصاحف، ونشرها في الأمصار، ومنع القراءة بما سوى ذلك؛ لأن أي قراءة بغير الأحرف السبعة التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لا تعد من القرآن ولا تجوز القراءة بها. على نحو ما بيّنته في المطلب الثالث من المبحث الأول في هذا البحث.

المطلب الثالث: مصير الأحرف السبعة:

نقل التابعون القرآن الكريم قراءة ورسما بجميع الأوجه التي تلقوها عن الصحابة رضوان الله عليهم إلى من جاء بعدهم، كل واحد منهم يقرأ ويقرئ كما علم. وبرع عدد من الذين تلقوا عن التابعين

106- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن، **تفسير الخازن** المسمى **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ج 1، ص 10، وصالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، **تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ص 4.

107- محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ج 2، ص 195.

108- ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، حديث رقم: 30122، ج 6، ص 138.

109- القشيري، **صحيح مسلم**، حديث رقم: 821، ج 1، ص 562.

بقراءة القرآن الكريم، وتميزوا عن أقرانهم بدقة ضبطهم وغزارة علمهم وسعة حفظهم وعظم أمانتهم، يصدق فيهم قول الله تعالى: ژ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ی ی ئج ئح ئم ژ[110]. فبذلوا جهدهم في تتبع قراءة القرآن بجميع الحروف التي أنزلها الله تعالى على نبيه الكريم، فكانوا يقرئون بكل ما تلقوه من هذه الأحرف، إلا أنهم تميزوا باختيار أوجه من هذه الأحرف يقرأون بها في صلاتهم، يختصون بها أنفسهم، حتى سُمِّيت قراءتهم لاشتهارهم باختيار هذه الأوجه؛ فهذه تسمية شهرة واختيار لبعض الأحرف، لا تسمية ابتداع في القراءة.

يقول مكي بن أبي طالب: "فإن سأل سائل: ما العلة التي من أجلها كثر الاختلاف عن هؤلاء الأئمة، وكل واحد منهم قد انفرد بقراءة اختارها مما قرأ به على أئمته؟ فالجواب: أن كل واحد من الأئمة قرأ على جماعات بقراءات مختلفة، فنقل ذلك على ما قرأ، فكانوا في برهة من أعمارهم، يقرئون الناس بما قرؤوا، فمن قرأ عليهم بأي حرف كان، لم يردوه عنه، إذ كان ذلك مما قرؤوا به على أئمتهم. ألا ترى أن نافعا قال: قرأت على سبعين من التابعين، فما اتفق عليه اثنان أخذته، وما شك فيه واحد تركته... وقد روي عنه أنه كان يقرئ الناس بكل ما قرأ به حتى يقال له: نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت"[111]. ويقول ابن مجاهد: "قال نافع قرأت على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شك به واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة. وقرأ الكسائي على حمزة وغيره، فاختار من قراءة غيره نحوا من ثلاثمائة حرف. وكذا أبو عمرو على ابن كثير، وخالفه في نحو ثلاثة آلاف حرف، اختارها من قراءة غيره"[112].

110- سورة التوبة، الآية: 122.

111- أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، ص 83-84، وينظر: أبو شامة، **المرشد الوجيز**، ص 155.

112- أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي أبوبكر ابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ، ص61-62، والحسين بن أحمد أبو عبد الله ابن خالويه، **الحجة في** = = **القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401هـ ج 2، ص 314، وأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الأصبهاني، **تاريخ أصبهان** (أخبار أصبهان)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/ 1990م، ج 2، ص 301، وأبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص 49، وعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي أبو شامة، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، تحقيق: إبراهيم

وهكذا فإن الأحرف السبعة هي أصل القراءات العشر المتواترة. والقراءات العشر تحوي جميع الأحرف السبعة التي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، بحيث لا يخرج أي لفظ أو وجه أداء أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عنها. وكل قراءة ختمة كاملة للقرآن من هذه القراءات العشر، تحوي بعض الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى على نبيه الكريم. يقول الداني: "أما هذه السبعة الأحرف فإنها ليست متفرقة في القرآن كلها ولا موجودة فيه في ختمة واحدة بل بعضها، فإذا قرأ القارئ بقراءة من قراءات الأئمة وبرواية من رواياتهم، فإنما قرأ ببعضها لا بكلها"[113]. وليتضح المعنى المقصود بأجلى صورة أضرب مثالا بثلاث كلمات تعددت أوجه أدائها في سورة الفاتحة، وهذه الكلمات هي:

الكلمة	أوجه أدائها
مالك	ملك مالك بإثبات الألف
صراط	صراط، بالصاد سراط، بالسين إشمام الصاد صوت الزاي وسأرسمها "صزراط" للتسهيل
عليهم	عليهم، بكسر الهاء عليهم، بضم الهاء عليهمو، بكسر الهاء وصلة ضم الميم بواو

ومن باب ضرب المثل أقول: لو كان الحرف الأول المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم تتنوع فيه هذه الألفاظ في سورة الفاتحة على النحو الآتي: مالك، الصزراط، عليهمو. والحرف الثاني: مالك، الصراط، عليهُم. والحرف الثالث: ملك، السراط، عليهِم.

فإن الصحابي سيقرأ من هذه الأحرف وجها واحدا في الصلاة، وهو الوجه الذي قرأ به على

عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1349هـ، ج 1، ص 6، ومحمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م، ج 4، ص 271، وأبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي، **القواعد والإشارات في أصول القراءات**، تحقيق: عبد الكريم محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط1، 1406هـ، ص 36-37.

113- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، **جامع البيان في القراءات السبع**، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 1428هـ/ 2007م، ج 1، ص 123.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسبق أن أشرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يقرئ بعض الصحابة بحرف، وغيره بحرف آخر، على نحو ما هو مشهود في قصة عمر وهشام بن حكيم. أما التابعي فإما أن يأخذ قراءة صحابي معين، ويلتزم بها، أو أنه يقرأ على أكثر من صحابي وهنا تتعدد الأحرف وأوجه الأداء، ولا بد له من وجه يختاره للقراءة في الصلاة. وحيث أن الأحاديث الواردة في القراءات السبع تحوي التيسير في الاختيار من أوجهها المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم سيختار أوجها في القراءة من التي قرأ بها على الصحابة. وهذه القراءة (الأوجه التي اختارها) قد لا تكون عين أي حرف من الأحرف الثلاثة، التي مثّلت بها سابقا. لكنها لا تخرج عن أي منها، فالقارئ من التابعين بأي وجه من الأوجه الآتية مصيب:

مالك، السراط، عليهِم	مالك، الصزراط، عليهُم	ملك، الصراط، عليهِم
مالك، السراط، عليهمو	مالك، الصزراط، عليهِم	مالك، الصراط، عليهمو
مالك، الصراط، عليهُم	ملك، السراط، عليهم	ملك، الصزراط، عليهُم
مالك، الصراط، عليهِم	ملك، السراط، عليهمو	ملك، الصزراط، عليهِم
مالك، الصراط، عليهمو	ملك، الصراط، عليهُم	ملك، الصزراط، عليهمو

ولا يخفى على أحد أن القراءات العشر المتواترة قد حوت جميع هذه الأوجه، ولم يخرج شيء عنها؛ فقرأ عاصم ويعقوب والكسائي وخلف قوله تعالى: ژث ث نژ بالألف والباقون ژملكژ بغير ألف. وقرأ قنبل ورويس قوله تعالى: ژالسراطژ ژسراطژ كيف وقع في القرآن بالسين، وقرأ حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي، والباقون بالصاد. وقرأ يعقوب وحمزة؛ ژعليهم ولديهم وإليهمژ حيث وقعت بضم الهاء، والباقون بالكسر. وقرأ أبو جعفر وابن كثير وقالون بصلة ضم ميم الجمع بواو حالة الوصل فيقولون: عليهمو[114]. وإذا اتضح ذلك يمكن الإجابة بيسر عن بعض العبارات الموهمة المنقولة في كتب القراءات، نحو عبارة: الأحرف السبعة لا تجمعها قراءة ولا رواية. أقول: إن هذه العبارة صحيحة لأن الأحرف السبعة متفرقة في القراءات العشر، كل رواية وقراءة تحوي بعضا من الأحرف السبعة، لكن الأحرف السبعة لا تخرج عن القراءات العشر قيد أُنملة. وليس معناها أن الأحرف السبعة هي قراءة بالمعنى وبالتخيير بحيث لا يمكن إحصاء أوجهها عددا.

ونحو إشارة بعض العلماء: أن أوجه القراءة الصحيحة قد تفوق الأربعين أو الألف، أقول: إن

114- ابن الجزري، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ص 49-53.

هذا الكلام صحيح أيضًا؛ فإذا نظرنا إلى الكلمات التي تنوعت أوجه أدائها في سورة الفاتحة، فإننا نحصي ثماني عشرة رواية لقراءتها دون أن تخرج عن الأحرف السبعة، فكيف إذا جمعنا مع ذلك بقية الكلمات التي تنوعت أوجه أدائها في القرآن الكريم كاملًا. وأرجع وأقول إن القراءات العشر المتواترة حوت جميع الأحرف السبعة دون نقص. ولا يعني ذلك أن هناك أحرفا من السبعة أو أوجه أداء وقراءة قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت طي النسيان وتركتها الأمة. على نحو ما هو واضح في المثال السابق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيد السادات، وعلى آله المطهرين وصحابته الغرّ الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع:

أولًا: إن أدلة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف غير قاصرة على ما هو مبثوث من أحاديث في السنة النبوية المشرفة، بل يضاف إليها تنوع القراءات القرآنية الذي نشهده في القراءات العشر المتواترة فهو دليل على ذلك أيضًا.كما أن إجماع الصحابة الحاضرين عند عثمان على أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف دليل آخر عليها.

ثانيا: مصدر الأحرف السبعة هو الوحي المنزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك ينتفي الادعاء بأنه يسر للناس بأن يقرأوا وفق ما يشتهون ويستطيعون، بأن يقرؤوا بالمعنى أو بإبدال الكلمة القرآنية بما يماثلها في اللهجات العربية الأخرى أو بغير ما تعلموه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف هو التيسير على الأمة ، ولا يقتصر ذلك على اللهجات بل يشهد التيسير في الأحكام الشرعية أيضًا، وفي غيرها من العلوم كالتفسير.

رابعًا: القول بأن حديث الأحرف السبعة من المشكل الذي لا يعرف معناه أمر باطل، لأنها منزلة من الله وقد قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ بها الصحابة رضوان الله عليهم.

خامسًا: الأحرف السبعة هي سبع مرات نزل فيها الوحي بالقرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم، تنوعت في كل مرة منها هيئة أداء عدد من الكلمات القرآنية، خيّر القارئ بقراءة أيّ منها، تيسيرا ورحمة بهذه الأمة، محفوظة في القراءات العشر المتواترة أداء، مثبتة رسما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار.

سادسًا: الأحرف السبعة هي أصل القراءات العشر المتواترة بحيث لا يخرج حرف ولا كلمة قرآنية أنزلت بالأحرف السبعة عن القراءات العشر المتواترة، نحو ما بيّنته في متن هذا البحث.

وختاما أسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

Clearing Evidence about the meanings of the seven expressions in which Qur'ān was Revealed.

This paper tries to explain what is meant by seven expressions in which the text of Qur'ān was revealed.

The paper explains the Divine wisdom in providing for variety in reciting the Qur'ān. It shows that this wisdom is not restricted to facilitating pronunciation of certain words. After citing the views of past scholars, the writer submits his own interpretation of relevant reports. This variety of expression permitted in reciting the Qur'ān, is meant for facilitating the pronunciation of Qur'ānic words by its reciters, the writer concludes.

****